الباب الأول

دروس في العقيدة الإسلامية

الدرس الأول

تصحيح المعتقد

العقيدة: لغة: من العقد والتوثيق والإحكام والربط بقوة، يُقال: عُقِدَ الحبل شُدَّ بعضه ببعض نقيض حله، ومادة عَقَدَ في اللغة، مدارها على اللزوم والتأكد والاستيثاق، ففي القرآن الكريم: ﴿لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ﴾ (المائدة: ٨٩)، وتعقيد الإيمان إنما يكون بقصد القلب وعزمه[١].

يقول السعدي ـ رحمه الله ـ عند تفسيره لهذه الآية: أي: بما عزمتم عليه وعقدت عليه قلوبكم[٢].

ويقول الأشقر عند تفسيره لهذه الآية أيضًا: أي: بأيمانكم المعقودة الموثقة، بالقصد والنية إذا حنثتم[٣].

العقيدة: شرعًا: الإيمان الجازم الذي لا يتطرق إليه شك لدى معتقده، وهذه العقيدة مرتكزة على التوحيد الخالص، ويعني بالتوحيد الخالص: إفراد الله سبحانه وتعالى بما يختص به[٤].

---

(١) «عقيدة التوحيد» (ص٥) بتصرف.
(٢) «تيسير الكلام الرحمن» (المائدة: ٨٩).
(٣) «زبدة التفسير» (المائدة: ٨٩).
(٤) «شرح الأصول الثلاثة» (ص٢٥).

obeikandi.com

فالعقيدة إذًا ليست مصطلحًا عصريًا كما يروج البعض من المتحذلقين، بل إنها عقيدة التوحيد وخلاصة دعوة الأنبياء والمرسلين، وهذا معلوم بالضرورة من دين الله رب العالمين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (النحل: ٣٦)، وقال على لسان نوح عليه السلام: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾ (نوح: ٣)، وقال على لسان صالح عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ (هود: ٦١)، وعلى لسان شعيب عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ (هود: ٨٤)، وقال على لسان نبينا محمد ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف: ١١٠).

وجاء من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ سأله جبريل عن الإسلام، فقال: **«أن تشهد أن لا إله إلا الله ...»**[١].

وقال ﷺ: **«من لقيت وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله، مستيقنًا قلبه، فبشره بالجنة»**[٢].

وجاء من حديث عتبان، قال: **«فإن الله حرم على الناس من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»**[٣].

أخي ـ يا رعاك الله ـ.. اعلم أن لكل بناء أس، ولكل شجر غرس، وأساس وغراس ديننا ودعوتنا، هي العقيدة الصحيحة القائمة على التوحيد، والذي هو حق الله على العبيد، ودعوة لا تهتم بتصحيح معتقد أبنائها، ولا تهتم بتخليصهم من براثن الشرك، دعوة ميتة لا تؤتي ثمارها، ونهايتها إلى الفشل وهذا أمر ملموس ومشاهد.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) الحديث في الصحيح.

(٣) الحديث أخرجه الشيخان.

فتصحيح المعتقد واجب لأن: العقيدة الإسلامية هي العقيدة الوحيدة المتميزة التي يجب أن يرجع إليها المسلمون ويستقوا منها، ويعتمدون عليها لما تحمله هذه العقيدة من مُسَلَّمات الفطرة ومقوّمات الخلود ومبادئ الشمول وطاقات التجدد، وهذا ما يميز العقيدة الإسلامية عن غيرها من العقائد والشرائع[١].

إن العقيدة في قلوب رجالها ... من ذرة أقوى وألف مهند

وما أحسن ما قاله الشاعر:

هتف الزمان مهللاً ومكبراً ... إن العقيدة قوة لن تقهرا

هي سر نهضتنا ورمز جهادنا ... وبها تبلج حقنا وتنورا

نعم يا أخي الحبيب... هذه هي قضيتنا الكبرى تصحيح معتقد الناس، أما التلفيق أما المسامحة في هذا الجانب، فلا يصلح أبدًا ولا تنجح الدعوة فيه أبدًا، لأن الدعوة أقيمت على التوحيد الخالص[٢].

ومما لاشك فيه، أن التوحيد أهم قضية إسلامية على مر العصور، وهي محور هوية المسلم[٣]، بل إن التوحيد أصل الأصول وأهم مسائل الدين التي يجب علينا الاهتمام بها ومراعاتها فهذا هو الواجب علينا نحو التوحيد، أما ضعف العناية به، وجعله من الثانويات والانشغال عنه بغيره، مما هو فرع عنه لا يليق هذا بموحد، والعجب أن هناك من يرى أن التركيز على التوحيد والبداءة به قد يكون عائقًا، أمام وحدة الأمة وتأليف الشعوب الإسلامية، واجتماع كلمة الدعاة فيتحاشى مناقشة أمور العقيدة خوفًا من الفُرقة كما يتوهم ويجمع الناس على

---

(١) «حتى يعلم الشباب» (ص١١٦).
(٢) «قل هذه سبيلي» (ص٤٣).
(٣) من شريط «تحطيم الأصنام».

عمومات لا تثبت عند المسلمات، وهو يحسب أنه يحسن صنعًا وقد أساء فهمًا فأساء فعلاً[١].

وإن من الملاحظ اليوم في كثير من الدروس والمحاضرات والكتابات الخاصة بالتوحيد لا تتناسب مع أهميته فهذا قصور عظيم عند بعض هؤلاء الكتاب وغيرهم، لأنه يجب أن تُقدَّر كل مسألة بقدرها وإعطاؤها حقها واحترام الحقائق أمر لازم، وليُعلم بداهة أنه لا يُركن على شباب ولا يُعتمد على جيل خاوٍ من العقيدة الصافية والتوحيد الخالص في نشر الإسلام، ورفع راية الحق.

شعبٌ بغير عقيدة ... ورق يذريه الرياح
من خان حي على الصلاة ... يخون حيَّ على الفلاح

وهذه العقيدة التي ندعو إليها ليست عبارة عن شعائر نتمسح به، وإنما هي حقيقة ثابتة يجب أن ترسخ في القلوب، وتصير منهجًا ينتهجه المسلمون.

ليس من يجعل العقيدة نهجًا ... كالذي ينتمي إليها شعارًا

والخلاصة: ينبغي التأسيس على العقيدة، قبل التسييس.

(١) «التوحيد أولاً» (ص١٣).

الدرس الثاني

الإخــلاص

الإخلاص: هو إفراد لله بالقصـد في الطاعات[١]، وقيل الإخلاص: نـسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق[٢].

وحقيـقة الإخلاص أن يقصـد العامل بعمله وجه الله وحـده، وثوابه وضده الرياء والعمل للأغراض النفسية[٣].

وفي شأن الإخلاص، وعظم قـدره، يقول تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ (٢) أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ (الزمر: ٢-٣)، وقال سبحـانه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (البينة: ٥)، وقال ـ عزَّ وجَلَّ ـ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف: ١١٠).

وها هو نبينا ﷺ يبين لنا مدى أهمية الإخـلاص في أكثر من موضع جاء في البخاري ومسلم من حديث أمـير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إنما الأعمال بالنيات. وإنما لكل امرئٍ ما نوى..»[٤].

قال ابن رجب ـ رحمه الله ـ في شرح الحديث: تقدير لكلام الأعمال واقعة وحاصلة بالنيـات، ويحتمل أن يكون التقـدير في قوله: «إنما الأعمال بالنيات»، الأعمال الصالحة أو فاسدة أو مقبولة، أو مردودة، أو مثاب عليها، أو غير مثاب عليهـا بالنيات، فيكون جزء عن حكم شـرعي، وهو صلاح الأعمال وفـسادها بحسب صلاح النيات وفسادها[٥].

---

(١) «تزكية النفوس» (ص١٣)، «ففروا إلى حبه» (ص٩٤)، «الإخلاص» (ص٤)، «البحر الرائق» (ص٨).
(٢) «تزكية النفوس» (ص١٣)، «البحر الرائق» (ص٨).
(٣) «تيسير الكريم الرحمن» (ص١٣).
(٤) رواه البخاري ومسلم.

ويقول ﷺ : «**إن الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا وابتُغِيَ به وجهه**»[(١)]، وقال ﷺ : «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله**»[(٢)].

وجاء في مسند أحمد وصححه الألباني من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : «**ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم جماعة المسلمين**»، وقال ﷺ : «**إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا**»[(٣)].

أخي ـ بارك الله فيك ـ . . . اعلم أن الإخلاص لله هو الشرط الأول، والركن الأقوم لقبول العمل، إذا وافق ذلك العمل اتباع السنة، وهو الشرط الثاني لصحة الأعمال.

قال الإمام أبو طاهر السلفي:

واعلم بأن الأجر ليس بحاصل ... إلاَّ إذا كانت له صفتان
لابد من إخلاصه ونقائه ... وخلوه من سائر الأدران
وكذا متابعة الرسول فحكمها ... نص بحكم نبينا العدنان

بل إن الإخلاص والاتباع جاءت بها كلمة التوحيد والإخلاص: «لا إله إلا الله محمدًا رسول الله»، فالجزء الأول من كلمة التوحيد، وهو: «لا إله إلا الله»، فيه توحيد بالإخلاص له في جميع الأقوال والأعمال، والجزء الثاني: «محمد رسول الله»، فيه توحيد الاتباع لنبينا محمد ﷺ .

قال الفضيل بن عياض عند قول الله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ (الملك: ٢)، هو أخلصه وأصوبه، قالوا: «يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟»، فقال:

(٥) «الإخلاص» (ص٨).

---

(١) رواه أبو داود والنسائي بإسناد جيد. (٢) متفق عليه.

«إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لمْ يقبلْ وإذا صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل حتى يكون خالصًا صوابًا».

والخالص: أن يكون لله، والصواب: أن يكون على السنة، ثم قرأ قول الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف: ١١٠)[١]، ومما لاشك فيه أن النية الصالحة روح الأعمال وقوامها صحتها من صحتها، وفسادها من فسادها، والعمل بدون نية صاحبه مراء متكلف ممقوت، فَتَعَلُّم النية أمر لازم.

قال يحيى بن كثير ـ رحمه الله ـ: «تعلموا النية، فإنها أبلغ من العمل»[٢].

وقال بعض السلف: رب عمل صغير تعظمه النية، ورب عمل كبير تصغره النية[٣].

وقال سفيان: ما عالجت شيئًا أشد عليَّ من نيتي[٤].

وقال السوسي ـ رحمه الله ـ معرفًا للنية الحسنة والإخلاص الخالص: الإخلاص فقد رؤية الإخلاص فإن من شاهد في إخلاصه الإخلاص، فإخلاصه يحتاج إلى إخلاص[٥].

وقال بعضهم في ثمرة الإخلاص: إخلاص ساعة نجاة الأبد، والإخلاص عزيز[٦].

(٣) رواه مسلم والترمذي وأحمد، من حديث أبي هريرة، والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

---

(١) «ففروا إلى الله» (ص٩٤)، «الإخلاص» (ص٤).

(٢) «تزكية النفوس» (ص٢٠).

(٣) «البحر الرائق» (ص١٣)، «تزكية النفوس» (ص٢٠).

(٤) «حلية طالب العلم» (ص١١).

جاء في كتاب (مختصر منهاج القاصدين): «فالعمل بغير نية عناء، والنية بغير إخلاص رياء، والإخلاص بغير تحقيق هباء»، وجاء فيه أيضًا: «الناس كلهم هلكى ألا العالِمون والعالِمون، كلهم هلكى إلا العاملون والعاملون، كلهم هلكى إلا المخلصون والمخلصون في خطر عظيم».

فتحقيق الإخلاص أمر لازم، لاسيما في نفوس الدعاة فبالإخلاص تؤتي الدعوة ثمارها ولو بعد حين، ولهذا لم يكن للشيطان سبيل على مخلص.

قال تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (ص: ٨٢-٨٣)، فلما كان الإخلاص بهذا القدر العظيم والمنزلة الرفيعة بالنسبة للعمل، كان لزامًا على دعاة الكتاب والسنة التجرد لله في أقوالهم وأفعالهم، والتخلص من جميع الشوائب التي تقدح في الإخلاص، وبدون ذلك لن تقال عثراتنا تناولن نحصل على ثمرات دعوتنا، خصوصًا ما نلمسه اليوم من الفرق الإسلامية المتعددة باسمائها المختلفة، هذه الفرق والمسميات جعلت الشباب يدعون باسم الإسلام موهمين غيرهم بهذا الاسم وباطن دعوتهم الانتصار لاسم ورسم تلك الجماعة التي ينتمون إليها، وهكذا كل فرقة وجماعة تجدها تحشر الجماهير وتجند الجند من أجل تلك الجماعة وذلك الحزب فحصل حينئذ الفشل والضعف والوهن وأصبح الكثير من الشباب حيارى لا يدرون إلى أين يتجهون، فكل باسم الإسلام ينادي وما من شك في أن كثرة التعدد تمرض القلوب، وهل العيب ومكمن الداء إلا في تلك المسميات؟! ولا شك أن العمل تحت الرسوم والأسماء المعينة ونسيان العمل لله وحده أمر مؤسف ومحزن.

(٥) (٦) «تزكية النفوس» (ص١٧).

فاحـرص أخي ـ بارك الله فيك ـ . . . على التجـرد لله ولا تنتظر شكراً من أحد، اعمل الخير لوجـه الله لأنك الفائز على كل حال، ثم لا يضرك غمط من غمطه، ولا جحود من جـحده، والحمد لله سبحانه، ولا تـفاجأ إذا أهدية بليداً قلما فكتب به هجاؤك أو منحت جـافيًا عصا يتوكأ عليـها ويهش بها على غنمه فهـشم بها رأسك، ولا تصدم إذا وجـدت هؤلاء قد كفـروا جميلك، وأحـرقوا حسنـاتك، ونسوا معـروفك، بل ربما ناصـبوك العداء، ورمـوك بمنجنيق الحـقد الدفين، لا لشيء إلا لأنك أحسنت إليهم[١].

الدرس الثالث

الاتباع للسنة

السنة: لغةً: الطريقة.

شرعًا: أقوال النبي ﷺ وأفعاله وإقراراته[١].

إن رسولنا الكريم ﷺ هو المبلغ عن ربه، به ختمت الرسالات السماوية وأكمل الدين فهو القدوة والأسوة الذي يلزمنا اتباعه والتمسك بسنته والاستجابة لأمره ونهيه، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ (الأنفال: ٣١)، وقال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ (آل عمران: ٢٨)، وقال أيضًا: ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾ (النور: ٥٤)، وقال أيضًا: ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ (النساء: ٨٠).

فمحبة رسولنا ﷺ واجبة ومقدمة على حب أنفسنا وولدينا وأولادنا والناس أجمعين، ومحبة رسولنا تتمثل في اتباع سنته، كيف لا؟!.

وهي المنبع الثاني بعد القرآن الكريم في التشريع، وحاجتنا إليها أشد من حاجتنا إلى الهواء والماء، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: **«لستُ تاركًا شيئًا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملتُ به، إني أخشى إن تركتُ شيئًا من أمره أزيغ»**[٢].

قال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (النور: ٦٣)، وجاء من حديث العرباض بن سارية أن رسول الله ﷺ قال: **«.. فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ»**[٣]،

(١) «ثلاثون سببًا للسعادة» (ص١٨-١٩) بتصرف.

---

(١) «مختصر الأسئلة، الأجوبة الأصولية» (ص١٦).

(٢) «حقوق الرسول» (ص١٨).

وقال ﷺ : «من رغب عن سنتي فليس مني»، وقال أبو عثمان النيسابوري: «من أمَّر السنة على نفسه قولاً وفعلاً، نطق بالحكمة، ومن أمَّر الهوى على نفسه نطق بالبدعة»[١].

أخي ـ بارك الله فيك ـ . . . أُذَكِّرُك بما قال أحد الصالحين في شأن السلف وتعظيمهم للسنة: إننا قوم إذ ذُكِر السلف افتضحنا.

نعم كيف لا ننفضح والمسلم الغيور على دينه حينما ينظر إلى واقع المسلمين في هذا الزمان يجد البون شاسعًا والفرق واسعًا في مواقفهم تجاه الرسول ﷺ، موقف يدعو للحزن والأسى على الحال التي وصلوا إليها[٢].

بل ويزداد الحزن حين تسمع فريقًا من الناس ـ يتهوكون بالسنة فصارت لُعقَة يلعقونها بألسنتهم وليس لها حظ من فعالهم لحاهم محلوقة أو مقصرة، وثيابهم مسبلة، وغير ذلك من المخالفات لسنة رسولنا الكريم.

وفريق آخر ـ من الناس هم أشد خطرًا على السنة من سابقيهم، فتجدهم قد طمسوا معالم السنة طمسًا لهم عبادات وتكهنات، وبدع ومنكرات، يتقربون بها إلى رب الأرض والسماوات، ويخرون من بدعهم، يبكون ويزيدهم ذلك عن السنة بعدًا ونفورًا، وهم مع ذلك يحسبون أنفسهم أنهم قد أحسنوا صنعًا فإذا هتف بهم داعي الحق موضحًا لهم بدعهم وضلالهم زمجروا ووجوههم عبسوا، وبالباطل نطقوا قائلين لنا صحيهم: أنتم أكلة الدين وكارهوا الرسول الأمين، أنتم الذين تركتم الحضرات والحفلات، وأهملتم المناسبات، وما عرفتم قدر الأولياء أصحاب الكرامات، وهكذا زين لهم الشيطان أقوالهم وأفعالهم فصدهم عن السبيل، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

(٣) رواه الترمذي وأحمد، وصححه الألباني في «صحيح الجامع».

وفريق ثالث ـ تراهم بعيد عن السنة جملةً وتفصيلاً همهم الطعام والشراب واللباس، وأحسن من قال في هؤلاء: «بهائم في مسالخ بشر»، قال الله فيهم: ﴿إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ (الفرقان: ٤٤).

وفريق آخر وأخير ـ وهم الذين أخذوا بالكتاب والسنة بفهم سلف الأمة فهؤلاء هم ذخائر الله المخبوءة، وهم أبعد الخلق عن الآفات، وهم الثابتون في خط الدفاع الشرعي.

نسأل الله العلي العظيم أن يجعلنا فيهم ومنهم ومعهم ويحشرنا في زمرتهم، اللهم آمين.

(١) «شرح الطحاوية» (ص٤٩٢).

(٢) «حقوق الرسول» (ص١٨).

obeikandl.com

الدرس الرابع

الإيمان وثماره

الإيمان: لغةً: مصدر آمن يؤمن إيمانًا وهو التصديق، ومنه قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ (يوسف:١٧)[(١)].

شرعًا: اعتقاد بالجنان، وإقرار باللسان وعمل بالأركان، كما قال أكثر العلماء[(٢)].

وقيل: هو قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ويتفاضل أهله فيه[(٣)].

فالإيمان هو أس الفضائل، ولجام الرذائل، وقوام الضمائر، وسند العزائم عند الشدائد، وهو بلسم الضمير وبلسم الصبر عند المصائب، وعماد الرضا والقناعة، وعزاء القلوب، إذا نزل الموت أو قربت أيامه، هو العروة الوثقى بين الإنسان والمثل والقيم والمبادئ، والطريق إليه واضح لا غموض فيه، سهل ميسر إنه تحت ظل شجرة هي أطيب الأشجار أصولها ثابتة مستقرة نماؤها مستمر، فروعها إلى السماء، والعجيب أنها تثمر في كل وقت وحين، وثمارها حلوة لها طعم لذيذ جدًا، إنها شجرة الإيمان قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ (إبراهيم: ٢٤-٢٥)[(٤)].

والإيمان هو المرتبة الثانية من مراتب الدين الثلاثة: الإسلام والإيمان والإحسان، وكم هناك من آيات في كتاب الله ترشدنا نحو الإيمان وتحثنا عليه

---

(١) «علم الإيمان» (١/ ١١). (٢) المرجع السابق.

(٣) «أعلام بسنة المنشورة» (ص١٩)، «الأسئلة والأجوبة الأصولية» (ص١٢٧).

وتذكرنا بأهميته من ذلك قول الله سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ (البقرة: ١٤٣)، وقال: ﴿ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ (النساء: ١٣٦)، وقال: ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ (الحجرات: ٧)، وقال: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (الأنفال: ٢-٣-٤)، هذه خمس صفات وصف الله عباده المؤمنين الصادقين في إيمانهم لذلك نبه في نهاية الآية بقوله: ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾.

وجاء في السنة المطهرة أحاديث كثيرة تنبه إلى أهمية الإيمان والإستزادة منه من ذلك: ما ورد عن النبي ﷺ سُئِل أي الأعمال أفضل؟، فقال: «**إيمانٌ بالله ورسوله**»[(١)]، وقال ﷺ: «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار**»[(٢)].

وعن العباس بن المطلب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ذاق طعم الإيمان: من رضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً**»[(٣)].

وفي حديث جبريل الطويل أن النبي ﷺ قال في جوابه عن الإيمان: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره**»[(٤)].

فهذه هي أصول الإيمان وأركانه من جحدها أو جحد واحدة منها، فقد كفر، ولن يتحقق الإيمان إلاَّ بإقامته على القول والعمل والاعتقاد.

(٤) «من شريط الكنز المفقود» (مختصرًا)، للشيخ: إبراهيم الدرويش.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم وأحمد والترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٤٢٥).

الإيمان يزداد وينقص:

* نعم، يزداد الإيمان بالطاعات، وينقص بالسيئات، والدليل على ذلك، قوله تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ (الفتح:٤)، وقوله أيضًا: ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ (المدثر:٣١)، وقوله: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب:٢٢)، ومن السنة قوله ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[١].

وقال الحكَمي:

إيمانُنا يزداد بالطاعات ... ونقصه يكون بالزلات

تفاضل أهل الإيمان:

* يتفاضل أهل الإيمان في إيمانهم، وهذا معلوم من الدين بالضرورة وعليه علماء الأمة سلفًا وخلفًا، وخالف في ذلك بعض فرق أهل الأهواء والبدع.

ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ (فاطر:٣٢)، فهذه الآية وضحت مراتب أهل الإيمان أنهم على ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى ـ الظالمون لأنفسهم: وهم الذين خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا.

المرتبة الثانية ـ هم الذين اقتصروا على فعل الواجبات واجتناب المحرمات، فلم يزيدوا على ذلك ولم ينقصوا منه.

المرتبة الثالثة ـ السابقون للخيرات: وهم الذين تقربوا إلى الله بالواجبات والمستحبات، وتركوا المحرمات والمكروهات[٢].

(٤) رواه مسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

---

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة، وأبي سعيد الخدري.

قال الحكَمي:

وأهله فيه على تفاضل هل أنت كالأملاك أو كالرسل

الإيمان يشمل الدين كله عند الإطلاق:

نعم، فالإسلام والإيمان إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا، ومعنى ذلك أنه إن اجتمعا الإسلام مع الإيمان فإنه يعني حينئذٍ بالإسلام الأعمال الظاهرة، وبالإيمان الأعمال الباطنة، قال تعالى: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (الحجرات: ١٤)، وإذا ذكر أحدهما دون الآخر فإنه يعني به الدين كله، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ (آل عمران: ١٩)، وقال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣).

وقال ﷺ: «أفضل الإسلام إيمان بالله»[1]، وقال أيضًا في حديث وفد عبد القيس: «آمركم بالإيمان بالله وحده»، قال: «أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟»، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تؤدوا من المغنم الخمس»[2].

من ثمار الإيمان:

* للإيمان ثمار كثيرة، منها في الدنيا ومنها في الآخرة.

أولاً - من ثماره في الدنيا:

١ - هداية أهله للحق: قال تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الحج: ٥٤).

---

(١) رواه مسلم من حديث أبي هريرة.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

٢ ـ **الحياة الطيبة**: قال تعالى: ﴿مَن عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ (النحل: ٩٧)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «**ما يفعل أعدائي بي أنا جنتي وبستاني في صدري، مهما رحلت فهي معي لا تفارقني، أنا حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة**»[١]، وكان أحدهم يقول: «**إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة**»[٢].

٣ ـ **النصر**: قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الروم: ٤٧)، وقال أيضًا: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ (غافر: ٥١)، وقال تعالى: ﴿نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الصف: ١٣).

٤ ـ **العزة**: قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (المنافقون: ٨)، وقال أيضًا: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة: ٥٤)، وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «**نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، مهما ابتغينا العزة بغيره، أذلنا الله**»[٣].

٥ ـ **الاستخلاف والتمكين**: قال ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ (النور: ٥٥).

٦ ـ **الأمن**: الآية السابقة فيها دلالة على ذلك، وقال أيضًا سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ (الأنعام: ٨٢).

٧ ـ **الدفاع عن المؤمنين**: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (الحج: ٣٨).

---

(١) «من شريط الكنز المفقود»، للشيخ: إبراهيم الدويش.

(٢) المرجع السابق.

(٣) «الصحيحة للألباني».

obeikandl.com

٩ ـ عدم تسلط الكافرين على المؤمنين: قال تعالى: ﴿ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾ (النساء: ١٤١).

ثانيًا ـ من ثماره في الآخرة:

١ ـ الخاتمة الحسنة: قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ﴾ (النحل: ٣٢).

٢ ـ التثبيت عند السؤال في القبر: يقول تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾ (إبراهيم: ٢٧).

٣ ـ الأمن من الفزع الأكبر: قال ـ عَزَّ وجَلَّ ـ: ﴿ لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ ﴾ (الأنبياء: ١٠٣).

٤ ـ النجاة من النار: قال سبحانه: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ (مريم: ٧٢).

٥ ـ يعطون أهل الإيمان نورًا يصلون به إلى الجنة: قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ ﴾ (الحديد: ١٢).

٦ ـ الخلود في الجنة: قال جَلَّ شأنه: ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (المؤمنون: ١٠-١١).

٧ ـ نعيم الجنة: قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً ﴾ (الكهف: ١٠٧)[1].

٨ ـ ومن أعظم ثمار الإيمان: رؤية الله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (القيامة: ٢٢-٢٣).

---

(١) «علم الإيمان» (١/ ٣٠-٣١-٣٢)، بتصرف.

الدرس الخامس

اليوم الآخر

قبل الحديث عن اليوم الآخر وأحواله وأهواله وشدائده وكرباته، أتحدث عن المراحل التي يعيشها الإنسان قبل بلوغه تلك المرحلة الآخرة والأخيرة، أعني: اليوم الآخرة، والحديث عن تلك المراحل ذو شجون ومع ذلك سأجتهد في الاختصار ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

ما لا شك فيه أن الإنسان يمر بأربعة مراحل:

المرحلة الأولى ـ حياته في بطن أمه، ومدتها تسعة أشهر، وقد تزيد قليلاً أو تنقص، والإنسان في هذه المرحلة يتنقل بمجموعة أطوار: نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظامًا، ثم يُكسى العظام لحمًا، إلى أن يكتمل نموه وخلقته، فإذا ما اكتمل نموه وخلقته انتقل إلى المرحلة التي تليها وهي المرحلة الثانية.

المرحلة الثانية ـ وهي الحياة الدنيا، وهي التي يمر عليها الإنسان للإبتلاء والتمحيص، يقول تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ (الملك:٢)، والإنسان في هذه الحياة إن عاش وعُمِّر يمر بمراحل طفلاً فغلامًا فشابًا فكهلاً فشيخًا هرمًا، ثم الموت، وهو نهاية هذه الحياة.

ولدتك أمك يا ابن آدم باكيًا ... والناس حولك ضاحكون سرورا

فاعمل ليوم أن تكون إذا بكوا ... في يوم موتك ضاحكًا مسرورا

نعم إن هذه الحياة أولها بكاء، وأوسطها عناء، وآخرها فناء، فإمَّا نعيم أبديٌ، وإما جحيم سرمديٌ ـ عياذًا بالله تعالى ـ، هذه الحياة مليئة بالهموم والأحزان، ومشوبة بالبلاء والامتحان، إن أضحكت أبكت، وإن سرَّت أحزنت، وإن جَمعت فرقت، وإن حَلت أوحلت، وأن جَلت أوجلت، وإن كَست أوكست.

ثمانية تجري على المرء دائمًا ولابد للمرء أن يلقَ تلك الثمانية
سرور وحزنٌ واجتماع وفرقة وعسرٌ ويسرٌ، ثم سُقمٌ وعافية

هذه الدار طبعت بالأكدار، ومزجت بالأقذار.

طُبعت على كدرٍ وأنت تريدها صفواً من الأقذار والأكدار

هذه الدار دار عمل وفناء، لا دار وحساب وبقاء.

هذه الدار ليس إلا كظل زائل أو حكم نائم، أو كسراب بقيعة، يحسبه الظمآن ماء.

قال سبحانه وتعالى في شأنها: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ ﴾ (الكهف:٤٥)، وقال أيضًا: ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى ﴾ (النساء:٧٧)، وقال أيضًا: ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ (آل عمران:١٨٥)، وقال أيضًا: ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ ﴾ (الرعد:٢٦)، والناس على ظهرها صنفان ما بين زاهد ومغرور، ولقد كان سيد الزهاد في هذه الحياة نبينا محمد ﷺ، ودليل ذلك أن الله خيَّره بين أن يؤتيه زهرة الدنيا، وبين ما عنده فاختار ما عنده.

ودليل آخر يوم أتى إليه عتبة بن ربيعة من زعماء الكفر وحاوره في دين أبائهم وأجدادهم، إلى أن قال له: «يا ابن آخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا، وإن كنت إنما تريد شرفًا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرًا دونك، وإن كنت تريد ملكًا ملكناك علينا»[1]، فأجاب عليه

(١) «فن الحوار» (ص١٦)، نقلاً من سيرة ابن هشام (ص٣١٣) وغيرها.

رسول الله ﷺ بعد أن انتهى من كلامه بالقراءة من أول سورة فصلت، إلى قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ (فصلت: ١٣)، هكذا قابل ﷺ هذه الإغراءات بالزهد الرفيع.

بل إنه ﷺ نام على الحصير حتى أثر على جنبه الشريف، ورقع الثوب، وخصف النعل، وركب الحمار، وجلس على الأرض تواضعًا وزهداً منه ﷺ، ولقد صور لنا رسول الله ﷺ هذه الحياة على حقيقتها فقال ﷺ: «لو كانت هذه الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقي كافراً منها شربة ماء»[1].

وقال ﷺ: «الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه، وعالمًا ومتعلمًا»[2].

وقال ﷺ: «الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها، فناظر بما تعلمون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء»[3].

فلا تغرنك الدنيا وزينتها ... فانظر إلى فعلها في الأهل والوطن
وانظر إلى من حوى الدنيا بأجمعها ... هل راح منها بغير الحنط والكفن

وقال آخر:

لكل شيء إذا ما تم نقصان ... فلا يغر بطيب العيش إنسان
هي الأمور كما شاهدتها دول ... من سره زمن ساءته أزمان
وهذه الدار لا تبقى على أحد ... ولا يدوم على حال لها شأن

---

(١) رواه الترمذي وصححه الألباني من حديث أبي سهل بن سعد الساعدي.
(٢) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن، وحسنه الألباني «صحيح الجامع» (٣٤١٤)، ورواه ابن ماجه عن أبي هريرة والطبراني في «الأوسط» عن ابن مسعود.
(٣) رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري.

فانظر يا أخي الحبيب إلى أسلافك من بعد رسول الله ﷺ، كيف صاروا بعد أن عرفوا حقيقة هذه الحياة أمثال عمر بن الخطاب، وأبو الدرداء، والبصري، والثوري، وعمر بن عبد العزيز، وغيرهم كثير وكثير.

يا من يذكرني بعهد أحبتي ... طاب الحديث بذكرهم ويطيب

أعد الحديث عليَّ من جنباته ... إن الحديث عن الحبيب حبيب

وأما الصنف الآخر: فهو الغرور والمغرور من غُرٍّ، ولك أخي ـ يا رعاك الله ـ عبرة وآية فيمن ملكوا هذه الدنيا، أين ذهبوا؟ أليسوا جميعًا هلكوا، فأين فرعون وهامان، وعاد وإرم، وأبو لهب وأبو الحكم؟.

أين الملوك التي كانت مسلطنة ... فقد سقاها بكأس الموت ساقيها

وهكذا يتقلب الناس على ظهر هذه الحياة بين سعادة وشقاء، وفقر وغناء، وضحك وبكاء، وعافية وبلاء، حتى تأتي لحظات النهاية وساعة الصفر، إنه الموت الذي لا مفر منه، ولا مهرب، وهو نهاية كل حي، ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ (ق:١٩)، وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ (آل عمران:١٨٥)، وقال ـ عَزَّ وجَلَّ ـ: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (السجدة:١١).

وجاء في البخاري من حديث أنس رضي الله عنه قالك خط رسول الله ﷺ خطًا، وقال: «هذا الإنسان»، وخط إلى جنبه خطًا، وقال: «هذا أجله»، وخط خطًا آخر بعيداً منه، فقال: «هذا الأمل، فبينما هو كذلك إذ جاءه الأقرب»[1].

---

(١) صححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٢١٠).

وقال ﷺ: «أكثروا من ذكر هادم اللذات»[1]، وجاء عند البخاري وأحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أعذر الله إلى امرئ أخَّر أجله حتى بلغ ستين سنة»، وعن شداد ابن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت»[2].

نعم أخي - يا رعاك الله - إن من اللازم على كل مسلم أن يُشمِّرَ للاستعداد لهذه الحقيقة التي لامفر منها، فالموت حقيقة قاسية رهيبة تواجه كل حي، فلا يملك لها ردًا ولا يستطيع لها أحد ممن حوله دفعًا وهي تتكرر في كل لحظة يواجهها الكبار والصغار، والأغنياء والفقراء، والأقوياء والضعفاء، ويقف الجميع منها موقفًا واحدًا لاحيلة ولا وسيلة ولا قوة ولا شفاعة، ولا دفع ولا تأجيل، مما يوحي بأنها قادمة من صاحب قوة عليا لا يملك البشر معها شيئًا، ولا مفر من الاستسلام لها[3].

الموت لنا بالمرصد ... إن لم يفاجئنا اليوم فاجئنا في غد

وقال آخر:

ماض وأعرف ما دربي وما هدفي ... والموت يرقص لي في كل منعطف

فما هو الموت إذًا؟

إنه مفارقة الروح للجسد، ومفارقة الروح للجسد، ليس بالأمر الهين أو اليسير، بل إنه الشدائد والسكرات والغمرات.

---

(١) رواه الترمذي بسند حسن من حديث أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد وابن ماجه والترمذي، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٤٣٠٥).

(٣) «الموت وعظاته وأحكامه» (ص١١).

أخي الحبيب ـ يرحمك الله ـ اعلم، أن الموت أشد من ضرب السيف وإنما يصيح المضروب ويستغيث لبقاء مَوته، وأما الميت عند موته فإنه ينقطع صوته في شدة ألمه، لأن الكرب قد بلغ فيه وغلب على قلبه وعلى كل موضع فيه، وضعفت كل جارحة فيه، فلم يبق قوة الاستعانة ويود لو قدر على الاستراحة بالأنين والصياح والاستغاثة وتجذب الروح من جميع العروق ويموت كل عضو من أعضائه تدريجًا فتبرد أولاً قدماه، ثم ساقاه، ثم فخذاه، حتى تبلغ الحلقوم فعند ذلك ينقطع نظره إلى الدنيا وأهلها، ويغلق دونه باب التوبة، قال ﷺ: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»[1].

واشتد نزعي وصار الموت يجذبها ... من كل عرق بلا رفق ولا هون

قيل: سكرات الموت أشد من الضرب بالسيف، ونشر بالمناشير، وقرض بالمقاريض[2].

والناس عند الموت صنفين: **الأول** ـ من تحسن خاتمتهم.

والثاني ـ من تساء خاتمتهم.

أما الصنف الأول: فمنهم من أحسنوا أعمالهم فحسنت خاتمتهم، فهذا نبينا ﷺ فاضت روحه وهو يردد: «بل الرفيق الأعلى».

وتوفي عمر بن عبد العزيز وهو يتلوا قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (القصص:٨٣)، وكان آخر ما تلفظ به شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ (القمر:٥٤-٥٥)، وغير هؤلاء كثير ممن حسنت خاتمتهم نسأل الله الكريم من فضله.

---

(١) رواه أحمد، «ففروا إلى الله» (ص٨٥).

(٢) «البحر الرائق» (ص٢٢٦).

وأما الصنف الآخر: فهم الذين سـائت أعمالهم، فساءت خـاتمتهم: وهؤلاء أكثر من أن يحصروا وأشهر من أن يذكـروا، وصور هذا الصنف كثير على سبيل المثـال: من كـفر من قـوم نوح، وقـوم صـالح، وقـوم هود، وقوم شـعـيب، وفـرعـون، وقـارون، وهامـان، وأُبي ابن خلف، وأبى الحكم، وأبي لهب، وغيرهم كثير ـ نسأل الله العافية.

ثم ماذا بعد المـوت. يرحمك الله.؟

بعد الموت تُجرد من الثياب، وتوضع على الألواح، وتُقلب بالأيدي، وليس لك من الأمر شيء.

فـجـاءني منهم رجل فـجـردني ... من الثـيـاب وأعـراني وأفـردني
وأطرحـوني على الأولح منفـرداً ... وصـار فـوقي خـرير الماء ينظفني

ثم تُدرج في الأكفان وهو آخر ما تخرج به من مال الدنيا.

وألبـسوني ثيـاباً لا كـمـوم لهـا ... وصـار زادي حنوطًا حين حنطني

وبعـد ذلك تُؤخذ إلـى المحراب أو غـيـره ليصلي عليـك القوم الصـلاة المعلومة المشروعة.

صلوا عليَّ صـلاة لا ركـوع لهـا ... ولا سـجـود لعلَّ الله يرحـمـني

ثم تُحمل على الأكتاف وفوق الأعـواد مغادراً هذه الحياة تاركًا الأهل والمال والدار والعقار.

أمـوالنا لذوي الميـراث نجـمـعـهـا ... ودورونا الخـراب الدهر نبنيـهـا

ثم ينقل إلى المرحلة الثالثة (حياة البـرزخ)، والحياة في القبر هي أول منازل الآخرة، ومن هنـا نبدأ بيت القصـيد من مـوضوعنا (الإيمان باليـوم الآخر)، إن

الانتقال إلى القبر يعدُّ انتقالاً من حياة إلى حياة أخرى ليصير الإنسان إلى شفير قبر مظلم لا أنيس، ولا جليس، وتلك هي أول ليلة في القبر.

فارقت موضع مرقدي يومًا ... ففارقني السكون
القبر أول ليلة ... بالله قل لي ما يكون

وقال آخر:

في ظلمة القبر لا أم هناك ولا ... أب شفيق ولا أخ يؤنسني

ولله ما أحسن ما قاله القائل مخاطبًا لبني قومه بلسان حال الميت:

ضعوا خدي على لحدي ضعوه ... وفي عفر التراب فوسدوه
وشقوا عنه أكفانًا رقاقًا ... وفي الرمس البعيد فغيبوه
فلو أبصرتموه إذا تقضت ... صبيحة ثالث أنكرتموه
حبيبكم وجاركم المفدي ... تقادم عهده فنسيتموه

ومما لا غبار فيه أن القبر إما روضة من رياض الجنان وإما حفرة من حفر النار ـ عياذًا بالله ـ، كيف لا؟، ومن المعلوم أن بعد الفراغ من الدفن تُعاد في الميت روحه، ثم يُمتحن العبد من قبل الملكين الموكلين، فإن وفق وأصاب الجواب فتلك آخر فتنة له فمن تجاوزها فما بعدها أيسر، ومن ثم يرى مقعده من الجنة، ويُقال له: نِم نوم العروس، وإن لم يتجاوزها فإنه يصير في عذاب واقع ما له من دافع وذلك على الروح والجسد، ولذلك علمنا نبينا ﷺ أن نستعيذ بالله من عذاب القبر.

جاء من حديث البراء بن عازب أن النبي ﷺ، قال: «استعيذوا بالله من عذاب القبر» مرتين أو ثلاثًا، ثم قال: «اللهم أني أعوذ بك من عذاب القبر» ثلاثًا[1].

(١) حديث صحيح رواه جمع من الأئمة وساقه الألباني في «أحكام الجنائز».

وبعد مرحلة القبر، إنه البعث والنشور والحشر والعرض والحساب، والميزان والصراط فإما إلى جنة، وإما إلى نار ـ عياذًا بالله تعالى ـ وهذا هو اليوم الآخر، الذي يجب الإيمان به حيث إن الكفر به كفر بواح، قال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ (التغابن: ٧).

وقال ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء، كقرص النقي، ليس فيها معلم لأحد»[١].

أي: أخي ـ هداني الله وإياك ـ: مثل نفسك وقد بُعثت من قبرك مبهوتًا من شدة الصاعقة، شاخص العين نحو النداء، وقد ثار الخلق ثورة واحدة من القبور التي طال فيها بلاؤهم، وقد أزعجهم الرعب مضافًا إلى ما كان عندهم من الهموم والغموم، وشدة الانتظار لعاقبة الأمر، كما قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ (الزمر: ٦٨)، وتفكر في الخلائق وذلهم وانكسارهم واستكانتهم انتظارًا لما يُقضى عليهم من سعادة أو شقاوة، وأنت فيما بينهم منكسرًا كانكسارهم متحيرًا كتحيرهم، فكيف حالك وحال قلبك، وقد بُدّلت الأرض غير الأرض، واشتبك الناس وهم حفاة عُراة مُشاة، وازدحموا في الموقف شاخصة أبصارهم، منفطرة قلوبهم، يوم ترى السماء فيه قد انفطرت، والجبال قد سُيرت، والعشار قد عُطلت، والوحوش قد حُشرت، والبحار قد سُجرت، والنفوس إلى الأبدان قد زُوجت، والجحيم قد سُعرت، والجنة قد أزلفت[٢].

فهذا هو اليوم الذي ترى الناس فيه سُكارى وما هم بسُكارى، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ

---

(١) متفق عليه.

(٢) «البحر الرائق» (ص٢٤٦) مختصرًا.

وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ (الحج:٢)، هذا هو اليوم الذي تبيض فيه مفارق الوالدان، كما قال تعالى: ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا (١٧) السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً ﴾ (المزمل:١٧-١٨).

مَثّل وقوفك يوم العرض عريانًا ... مستوحشًا قلق الأحشاء حيرانًا
النار تلهب من غيض ومن حنقٍ ... على العصاة ورب العرش غضبانًا
اقرأ كتابك يا عبدي على مهلٍ ... فلن ترى فيه حرمًا غير ما كان
لما قرأت ولم تنكر قراءته ... اقرار من عرف الأشياء عرفانا
نادى الجليل خذوه يا ملائكتي ... وامضوا بعبدٍ عصى للنار عطشانًا
المشركون غدًا في النار في لهب ... والمؤمنون بدار الخلد سكانا

ثم ماذا بعد موقف البعث والحشر؟

إنه الحساب، قال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (يس:٦٥)، وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٩) حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (فصلت:١٩-٢٠).

ثم بعد الحساب يأتي موقف الميزان، قال الله فيه: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ﴾ (الأنبياء:٤٧)، وهذا أحد المواقف الذي ينسى فيه الخليل خليله والصاحب صاحبه، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح، والموزون هو العامل والعمل وصحيفة العمل[١].

وجاء في شرح الطحاوية أن: الموزون هو العامل والعمل[٢].

---

(١) «البحر الرائق» (ص٢٤٥).
(٢) «شرح الطحاوية».

ثم يأتي بعد موقف الميزان، موقف الصراط، قال الله فيه: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ (مريم: ٧١)، وبعد الصراط يفصل بين الفريقين: ﴿ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ (الشورى: ٧)، وهما لمقران الأخيران للإنسان وذلك هو المرحلة الرابعة للإنسان، فأما النار فقعرها بعيد، وحرها شديد، ومقامعها من حديد: ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ (الحجر: ٤٤).

طعام أهلها الضريع، وهو نوع من الشوك لا تأكله الدواب لخبائته، ومن طعام أهلها أيضًا الزقوم، وهو شجر من النار، وشجرة ا لزقوم هي الشجرة الملعونة في القرآن والتي تنبتت في أصل الجحيم، طلعها كأنه رؤوس الشياطين، ومن طعامهم الغسلين، وهو الدم والماء والصديد الذي يسيل من لحومهم، وشراب أهلها الصديد والحميم والمهل، وملابس أهلها القطران، أَسِرَّة أهلها ظلل من النار، من فوقهم ظلل ومن تحتهم ظلل[1].

أهل النار يلعن بعضهم بعضًا، يتجادلون ويتخاصمون، التابعون والمتبوعون، الضعفاء والمستكبرون، كل فريق يلقي التبعة على غيره، وإذ بهم في النهاية يتحسرون، والندامة يُسِرُّون ﴿ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الأَغْلاَلَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (سبأ: ٣٣)، ثم إذ بهم يصرخون ويستغيثون بأهل الجنة، قائلين كماحكي عنهم رب العالمين: ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴾ (الأعراف: ٥٠)، فيكون الجواب بعد أمد: ﴿ إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (الأعراف: ٥٠)، فيلجأون إلى مالك خازن النار أن يشفع لهم عند ربهم أن يقضي عليهم بالهلاك والموت، قال سبحانه: ﴿ وَنَادَوْا

(١) «البحر الرائق» (ص٢٥٩-٢٦٢)، بتصرف واختصار.

﴿ يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ (الزخرف:٧٧) فيكون الجواب الذي يقطع أحشاءهم ويزيدهم حسرات إلى حسراتهم: ﴿ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴾ (الزخرف:٧٧)، فيلجأون إلى ربهم وخالقهم سبحانه: كما أخبر عنهم في كتابه: ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ (المؤمنون:١٠٨)، فإذا بالجواب الآخر والأخير الذي ليس لهم بعده أمل ولا رجاء، وذلك بعد أمد: ﴿ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ (المؤمنون:١٠٧)، فيالله من تلك الأهوال والشدائد والحسرات التي لا تقوى عليها الأرض والسماوات فكيف يقوى عليها أضعف المخلوقات إنه الإنسان: ﴿ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴾ (النساء:٢٨).

مصائب تترى:

صُبَّتْ عليهم مصائب لو أنها ... صُبَّت على الأيام صرنا لياليا

ولا يخفى ماذا يكون لإبليس من دور بعد انقضاء الأمر وفصل الحكم في أهل الجنة، وأهل النار، يفصح فيه عما كان عليه من دعوة باطلة، ليقطع بذلك الإفصاح أوصال الذين استجابوا لدعوته، ورفضوا داعيَ الله قال الله في هذا الشأن: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (إبراهيم:٢٢).

وأما الجنة فإنها دار المتقين أبوابها ثمانية درجاتها مائة ما بين كل درجة وأخرى كما بين الأرض والسماء.

قصورها ذهب والمسك طينتها ... والزعفران حشيش نابت فيها

طعام أهلها فاكهة مما يتخيرون، ولحم طير مما يشتهون، بل إنها فاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة، شراب أهلها الكافور، والسلسبيل والزنجبيل، والخمر واللبن، والماء والعسل المصفى، ثياب أهلها الحرير والسندس والاستبرق، صفة

أهلها: جردٌ مردٌ أعمارهم ثلاث وثلاثين على صورة أبيهم آدم ستون ذراعًا في السماء وخلاصة ما فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر مصداق ذلك في كتاب الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ: ﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُم مِن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (السجدة: ١٧).

يا سلعة الرحمن لست رخيصة ... بل أنت غالية على الكسلان
يا سلعة الرحمن هل من خاطب ... فالمهر قبل الموت ذو إمكان
يا سلعة الرحمن ليس ينالها ... في الألف إلاَّ واحد لا اثنان

فجدير بمن الموت مصرعه، والتراب مضجعه، والدود أنيسه، ومنكر ونكير جليسه، والقبر مقره، وبطن الأرض مستقره، والقيامة موعده، والجنة أو النار مورده، أن لا يكون له فكر إلاَّ في ذلك والاستعداد له.

obeikandl.com

الدرس السادس

معاملة الحكام المسلمين

وسبب اختياري لهذا الموضوع، نظرًا لأن معاملة الحكام المسلمين هي إحدى المسائل المتعلقة بقضية الولاء والبراء، والولاء والبراء قضية عظمى من قضايا العقيدة الإسلامية، ثم إنه لما وقع اختلاف عظيم وكبير بين المسلمين في التعامل الشرعي مع حكام المسلمين ما بين خارجي ومداهن مجامل على حساب الدين ووسط، رأيت أن أعرض هذه المسألة العقدية عرضًا كاملاً يبين المنهج الصحيح الذي سار عليه سلف الأمة مع حكامهم، وبهم يجب التأسي والاقتداء.

لاشك أن السمع والطاعة لولاة أمر المسلمين أصل من أصول العقيدة السلفية، قلَّ أن يخلو كتاب فيها من تقريره وشرحه وبيانه وماذاك إلاَّ لبالغ أهميته وعظيم شأنه، إذ بالسمع والطاعة لهم تنتظم مصالح الدين والدنيا معًا، وبالافتيات عليهم قولاً أو فعلاً فساد الدين والدنيا[1].

وقد عُلِمَ بالضرورة من دين الإسلام أنه لا دين إلاَّ بجماعة، ولا جماعة إلا بإمامة، ولا إمامة إلا بسمع وطاعة[2].

فها هو سبحانه وتعالى يقرر هذا المبدأ العظيم بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ (النساء:٥٩).

---

(١) «معاملة الحكام المسلمين» (ص٥).

(٢) المرجع السابق. (ص٥).

قال النووي: المراد بأولي الأمر: من أوجب الله طاعاته من الولاة والأمراء هذا قول جماهير السلف والخلف من المفسرين والفقهاء وغيرهم، وقيل: هم العلماء، وقيل: هم الأمراء والعلماء[١].

ففي هذه الآية وجوب السمع والطاعة لولاة الأمر وهذا مطلق يقيد بما ثبت في السنة من الطاعة إنما تكون في غير المعصية[٢].

جاء من حديث عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ قال: «على المرء السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية: فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»[٣].

قال ابن قدامة المقدسي ـ رحمه الله ـ: من السنة السمع والطاعة لأئمة المسلمين وأمراء المؤمنين، برهم وفاجرهم مالم يأمروا بمعصية الله، فإنه لا طاعة لأحد في معصية الله[٤].

قال ابن سعدي ـ رحمه الله ـ: وأمر بطاعة أولي الأمر وهم لولاة على الناس من الأمراء والحكام والمفتين، فإنه لا يستقيم للناس أمر دينهم ودنياهم إلاَّ بطاعتهم، والانقياد لهم طاعة لله ورغبة فيما عنده، ولكن بشرط أن لا يأمروا بمعصية؛ فإن أمروا بذلك، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق[٥].

وقال ﷺ: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»[٦].

---

(١) المرجع السابق (ص٧٦) نقلاً من شرح النووي على مسلم (ص٢٢٣ ، جـ١٢).
(٢) المرجع السابق (ص٧٧).
(٣) أخرجه البخاري ومسلم.
(٤) «شرح لمعة الاعتقاد» (ص١٢٤).
(٥) «معاملة الحكام المسلمين» (ص٧٧).
(٦) أخرجه الترمذي.

وقال ﷺ : «**إنما الطاعة في المعروف**»[١] .

وقال العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ: طاعة الخليفة وغيره من ولاة الأمور واجبة في غير معصية الله لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ (النساء:٥٩)، ولقوله ﷺ : «**السمع والطاعة على المرء فيما أحب وكره مالم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**»[٢] .

وسواء كان الإمام برًا وهو القائم بأمر الله فعلاً وتركًا أو فاجرًا وهو الفاسق لقوله ﷺ : «**إلا من وُلي عليه وآل فرآه يأتي شيئًا من معصية فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يداً من طاعة**»[٣] .

أي أخي ـ يا رعاك الله ـ اعلم أن الخروج على الحكام يُعد خروجًا عن طاعة الله ورسوله وعن مذهب السلف، وحكم ذلك التحريم، وسواء كانوا أبرارًا أم فجارًا، وسواء أخذوا الإمارة بالسلم أو بالقهر والغلبة والخروج عليهم بالكلام يُعَدُّ من أعمال فرقة القعدية يقعدون يُحَرِّضون الناس على الخروج ويُشهِّرون بالحكام ولا يخرجون بأنفسهم، وأما الخروج بالسلاح فهو أشد وأنكى لما فيه من المخالفة للشرع الحنيف.

قال أبو جعفر الطحاوي ـ رحمه الله ـ: ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا ، ولا ندعوا عليهم، ولا ننزع يدًا من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ فريضة ما لم يأمروا بمعصية، وندعوا لهم بالصلاح والمعافاة[٤] .

---

(١) أخرجه أبو داود وغيره وهو صحيح.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم، «شرح لمعة الاعتقاد» (ص١٢٦).

(٤) «متن الطحاوية». (ص٤٤)، «مختصر شرح الطحاوية» (ص١٦٥).

وقال ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ: «الخروج على الإمام محرم؛ لقول عبادة بن الصامت رضي الله عنه: بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم فيه من الله برهان»[(١)].

وقال العلامة أبو الحسن المأربي ـ حفظه الله ـ: ولا أرى الخروج على الحكام ماداموا مسلمين، وإن جاروا بل يجب نصحهم وأعتقد أن للخروج شرطين لابد منهما:

١ ـ أن ترى من الحكام الكفر البواح الذي لنا فيه من الله برهان.

٢ ـ أن يكون المسلمين قادرين على عزله بدون مفسدة أكبر[(٢)].

ومن غلب فتولى الحكم واستتب له فهو إمام تجب طاعته وبيعته، وتحرم منازعته ومعصيته[(٣)].

قال أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ: ومن غلب عليهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين، فلا يحل لأحد أن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت، ولا يراه إمامًا برًا كان أو فاجرًا[(٤)].

وقال الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ: كل من غلب على الخلافة بالسيف حتى يُسمى خليفة ويُجمع الناس عليه فهو خليفة[(٥)].

---

(١) متفق عليه.

(٢) «السراج الوهاج» (ص٥٠).

(٣)، (٤) «معاملة حكام المسلمين» (ص٢١).

(٥) المرجع السابق (ص٢٣).

أخي الحبيب ـ بارك الله فيك ـ: الوقيعة في أعراض الأمراء والاشتغال بسبهم وذكر معائبهم خطيئة كبيرة، وجريمة شنيعة نهى عنها الشرع المطهر وذَمَّ فاعلها وهي نواة الخروج عن ولاة الأمور، الذي هو أصل فساد الدين والدنيا معًا[١].

قال ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»[٢].

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: «إياكم ولعن الولاة، فإن لعنهم الحالقة، وبغضهم العاقرة»[٣].

وقال ﷺ: «من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله»[٤].

وعلى ذلك فلا يعني السكوت عن ظلم الحكام وجورهم هو المأمور به شرعًا، وإنما ينبغي علينا نحوهم النصح، والوعظ والتذكير، ومعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه ولا يكون من النصح التشنيع بهم على رؤوس الأشهاد والطعن فيهم، وتهييج الناس من على المنابر وغيرها عليهم، بل هذا خلاف مذهب السلف ـ رحمهم الله تعالى ـ.

قال الشوكاني ـ رحمه الله ـ في السيل الجرار: ينبغي لمن ظهر له غلط الإمام في بعض المسائل أن يُناصحه ولا يظهر الشناعة عليه على رؤوس الأشهاد»[٥].

وقال العلامة أبو الحسن المأربي ـ حفظه الله ـ: ولا أرى تهييج الناس وتحريضهم على حكامهم، وإن جاروا لا من فوق المنابر ولا غير ذلك، لأن ذلك خلاف هديْ السلف الصالح، بل المشهور عنهم النهي عن ذلك فإخبارهم بما لا

---

(١) المرجع السابق (ص٨٧).
(٢) رواه البخاري ومسلم.
(٣) المرجع السابق (ص٩١).
(٤) أخرجه أحمد في المسند، وقال عنه الترمذي: حسن غريب.
(٥) المرجع السابق (ص٥٦)، نقلاً من «السير الجرار» (٤/٥٥٦).

obeikandi.com

يحسنون فهمه، ولا علاجه مع تحريضهم فإنه يفسد أمر العامة والخاصة، ومن فعل ذلك فلا هو للحق اتبع، ولا منكرًا أزال، ولا دعوة أبقى، ولا واقعًا أدرك، وعمله هذا تُقِرّ أعين الحاقدين على الإسلام وإن ظن أنه يحسن صنعًا(١).

فالنصيحة لأئمة المسلمين والحكام تكون بمعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وأمرهم به ونهيهم، وتذكيرهم برفق، وترك الخروج عليهم بالسيف، إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة(٢).

قال ﷺ: «الدين النصيحة»، قلنا: لمن يا رسول الله؟، قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»(٣).

وقال ﷺ: «من أراد أن ينصح السلطان بأمر فلا يبدي له علانية، ولكن ليأخذ بيده فيخلوا به، فإن قبل منه فذاك، وإلا كان قد أدى الذي عليه»(٤).

قال ابن مفلح في الآداب الشرعية: ولا ينكر أحد على سلطانه إلاً واعظًا له أو تخويفًا أو تحذيرًا من العاقبة في الدنيا والآخرة(٥).

وقال العلامة ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ: الله الله في منهج السلف في التعامل مع السلطان وأن لا يتخذ من أخطاء السلطان سبيلاً لإثارة الناس، وإلى تنفير القلوب عن ولاة الأمور، فهذا عين المفسدة وأحد الأسس التي تحصل بها الفتنة بين الناس، كما أن ملأ القلوب على العلماء يحدث تقليل من شأن

---

(١) «السراج الوهاج» (ص٥٠).

(٢) «كيف اهتديت إلى الصراط المستقيم (ص٧١) نقلاً من «شرح الأربعين النووية» للخطَّابي.

(٣) رواه مسلم من حديث أبي رقية تميم بن أوس الداري.

(٤) رواه أحمد وصححه الألباني عن عياض بن غنم.

(٥) «معاملة حكام المسلمين» (ص٤١).

العلماء، وبالتالي التقليل من الشريعة التي يحملونها، فإذا حاول أحد أن يقلل من هيبة العلماء وهيبة ولاة الأمر، ضاع الشرع والأمن، لأن الناس إن تكلم العلماء لم يثقوا بكلامهم، وإن تكلم ولاة الأمر تمردوا على كلامهم، وحصل الشر والفساد، وليُعْلَمْ أن من يثور إنما يخدم أعداء الإسلام، فليست العبرة بالثورة ولا بالانفعال، وإنما العبرة بالحكمة، ولست أريد بالحكمة السكوت على الخطأ، بل معالجة الخطأ لنصلح الأوضاع، لا لنغير الأوضاع، فالناصح هو الذي يتكلم ليصلح الأوضاع لا ليغيرها[1].

ولو ألقينا الضوء على واقع الجماعات الإسلامية والدعاة فيها، وموقفهم من الحكام لوجدناهم ثلاثة طوائف:

الأولى ـ المتزلفون للحكام حيث يلتمسون لكل بلوى دليلاً يؤيدون بها الحكام، وهذا التزلق يحصل لأحد سببين:

١ ـ لجلب منفعة شخصية تخدم الشخص أو الجماعة وهذا مخالف للشرع الحنيف.

٢ ـ لدفع مضرة الحكام وجورهم قد تلحق بالشخص أو الجماعة وهذا لا ينبغي أيضًا.

الثانية ـ الخارجون على الحكام والمكفرون لهم، وهذا مذموم شرعًا.

الثالثة ـ أصحاب الوسط بين الإفراط والتفريط، فإنك تجدهم يقولون للحسنة حسنة، وللسيئة سيئة، إذا ترتب على ذلك مصلحة متحققة، مالم تتحقق مصلحة فإنهم يسكتون لله، ويجتهدون في النصح بالطرق الشرعية، وهؤلاء هم الذين على الجادة.

---

(١) المرجع السابق (ص٣٢-٣٣).

ومما نأسف له ما علق في أذهان بعض إخواننا ـ غفر الله لهم ـ من أن الخروج على الحاكم الظالم سواء بالسلاح، أو بالكلام القائم على السب واللعن والتشهير والطعن يعدونه تقربًا لوجه الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ ويتعللون صحة ما يقومون به من لعن وتشهير وهمز ولمز، بأنه من باب قوله ﷺ: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[1]، فأخطأوا فهم الحديث والعمل به من حيث يشعرون أو من حيث لا يشعرون، نعم إنهم أساءوا فهمًا فأساءوا فعلاً فوقعوا في عين المنكر، وإزالة المنكر لا يغير بمنكر أو بما هو أنكر منه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: ليكن أمرك بالمعروف بالمعروف ونهيك عن المنكر بلا منكر[2].

ونظير هذا القول ما قاله سليم الهلالي ـ حفظه الله ـ في كتابه (الجماعات الإسلامية)[3].

وآخرون يقولون: نحن لا نلعن ولا نشهر ولا نطعن ولكننا ننقد وضعًا ونبين خطأ عبر الوسائل التي نستطيع الوصول إليها كالمنابر والصحف والمجلات، وفي المحاضرات والندوات وفي الدورات والمخيمات وكل هذا في نظرهم جائز ولا يُعَدُّ خروجًا ولا تشهيرًا، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: ما هو التشهير في نظر هؤلاء؟، بل إننا نعَدُّ ذلك هو عين التشهير، وهو بداية للخروج على الحاكم.

---

(١) رواه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري.

(٢) من شريط «أدب النصيحة في الإسلام» عائض القرني، «ففروا إلى الله» (ص٣٤٧).

(٣) «الجماعات الإسلامية» (ص٣٦)، أنصح بالعودة إليه فإنه كتاب جيد في بابه.

وآخرون يُعدُّون فعلهم ذلك من باب الصدع بالحق، ويحتجون بقول النبي ﷺ: «إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر»[(١)]، وورد بلفظ: «أفضل الجهاد ...»[(٢)].

قلت: ليس من الشرع سب الحكام والتشهير بهم أمام الناس، وما دام وأنه ليس من الشرع فلا يُعَدُّ ذلك من العدل ولا من الجهاد في شيء هذا أولاً.

ثانيًا ـ الحديث ليس فيه دليل على جواز الطعن والتشهير بل فيه دليل على قول الحق والعدل وليس من الحق والعدل التشهير والطعن، فالحديث حجة عليهم لا لهم.

ثالثًا ـ كلمة «عند» في الحديث تُفيد الظرفية (ظرف المكان) فهل الكلام في المحاضرات ومن على المنابر يفيد الظرفية المقصودة في الحديث؟!.

رابعًا ـ لو استطعنا الوصول إلى الحاكم، فلا يعني حينئذٍ أن نطعن ونلعن ونشهر بل ولا حتى نجهر له بالنصيحة فإن الطعن والتشهير لا يُعَدُّ تحقيقًا لقول رسول الله ﷺ: «كلمة عدل»، ثم إن النصيحة تحتاج إلى إتقان ومن إتقانها الإسرار بها حتى لا تكون فضيحة، فإذا كان من آداب النصيحة الإسرار بها مع عامة الناس، فهي من باب أولى مع حكامهم.

---

(١) رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٢٠٩)، و«الصحيحة» (٤٩١).

(٢) عند ابن ماجه عن أبي سعيد، وعند أحمد وابن ماجه والطبراني والبيهقي عن أبي أمامة، وعن أحمد والنسائي، والبيهقي عن طارق بن شهاب، صححه الألباني في «صحيح الجامع» (١١٠٠)، و«الصحيحة» (٤٩١).

تعمدني النصيحة بانفراد ... وجنبني النصيحة في الجماعة
فإن النصح بين القوم شيء ... من التوبيخ لا أرضى استماعه
فإن خالفتني وعصيت أمري ... فلا تجزع إذا لم تعط طاعة

خامسًا ـ إن قلت يا أخي: لا أستطيع الوصول إلى ولي الأمر حتى أناصحه، فالجواب ليس عدم قدرتك على الوصول إليه مبررًا كافيًا للتشهير به هذا أولاً.

وثانيًا ـ هناك وسائل تستطيع من خلالها النصح كالرسالة عبر البريد أو بالهاتف، أو الاتصال بالعلماء الذين يستطيعون الوصول إليه وغير ذلك.

وثالثًا ـ إن لم تجد وسيلة فلست بمكلف، لأن من قواعد الشرع «لا تكليف إلاَّ بمقدور»، والله يقول: ﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نفسًا إلاَّ وُسْعها﴾ (البقرة:٢٨٦).